من المَنّ السماويّ إلى خبز الحياة
أَصداء مِن سِفر الخروج في إنجيل يوحنّا ٦

الأخت ياره متّى
دكتوره في اللاهوت
والكتاب المقدّس

لدى قراءة الفصل السادس من إنجيل يوحنّا، يتبادر عفويًّا إلى ذهن القارئ المُلِمّ بالكتاب المقدّس حجم تأثير مُعطيات الشريعة والأنبياء على الكاتب اليوحنّاويّ المُلهَم، ومدى عمق وأهمّيّة الإشارات، الصريحة أو الضمنيّة، لأسفار العهد القديم؛ فخطاب يسوع حول خبز الحياة، المُلقى بعد آيتَي تكثير الخبز والسمك والسَّيْر على الماء (يو ٦: ١–١٥ و ١٦–٢١)، يتجذّر ولا شكّ في حدث الخروج وعبور الشعب القديم في بريّة سيناء مدّة أربعين عامًا. وفي هذا السِّياق، تبدو صورة المَنّ السماويّ، الذي اقتاتَ به الآباء في الصحراء، مِن المقوّمات الأكثر بروزًا في المُقارنة مع خبز الحياة الذي يسلّط عليه يسوع الضوء في خطابه المذكور.

إنّما العَودة البديهيّة إلى العهد القديم لتَوضيح صُوَر العهد الجديد ومفاهيمه لا تستغني عن حلقة القراءة وإعادة القراءة في سلسلة حلقاتٍ تَجْمع بين العهدَين. وبتعبيرٍ أدقّ، إنّ المؤمن اليهوديّ المُعاصِر ليسوع وللجماعات الكنسيّة الأُولى يتواصلُ مع كتبه المقدّسة من خلال الشُّروحات والتفاسير للنصوص التي يسمعها، بل "يعاشرها"، في ليتورجية السبت في المجامع. لِذا وجب التنويه بأهمّيّة دراسة الترجوم والمِدْراش والأدب العِبريّ القديم، لِما تحمله هذه القراءات من تقاليدَ جديدةٍ بإلقاء الضوء على طريقة فَهمنا واقتبالنا لمعاني العهد الجديد. ومِن هنا أقترح استكشاف بعض رموز المَنّ النازل مِن السماء بَدْءًا بِسِفر الخروج، مُرورًا بقراءاته المتنوّعة في النصّ الكتابيّ عينه، سواءَ كان بلغته العِبريّة أم في ترجمته اليونانيّة السبعينيّة، وصولاً إلى تأويلاته المختلفة في بعضِ التقاليد اليهوديّة القديمة. لعلّ ذلك يقودنا، بنوعٍ أو بآخَر، إلى استشفاف معالَم كريستولوجيّةٍ جديدةٍ تُنير هويّة يسوع، خبز الحياة، كما يُعرّف عن نفسه في يو ٦، وذلك من خلالِ ملاحظةٍ تمهيديّةٍ وثلاث نقاطٍ تختصر العرض، قبل الخُلاصة.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final ƒ.indd 495 1/30/17 8:02 PM

١ – الخبز العجيب أم خبز البؤس والمشقّة ؟

٢ – الخبز الروحيّ : خبز الكلمة، خبز الشريعة، خبز الحكمة.

٣ – الخبز المُنتظر للحياة الأبديّة.

*** خاتمة : الهِبة الجديدة بالمسيح.**

ملاحظة تمهيديّة

يحتوي الحوار بين يسوع واليهود في يو ٦ على استشهاداتٍ مباشرةٍ من العهد القديم، كما نقرأ مثلًا في الآية ٣١: "آباؤنا أكلوا المَنّ في البرّيّة، كما ورد في الكتاب: أعطاهم خبزًا من السماء ليأكلوا".

ولكنّ السؤال يبقى حول المراجع الكتابيّة المعنيّة في هذه الآية؛ فهي في الواقع تجمع بين نصوصٍ عدّة، حيث يذكر سفر الخروج (١٦: ٤) الخبز النازل من السماء الذي غدا مأكلاً لبني إسرائيل (١٦: ١٥)، كما تتكرّر هذه العناصر في سفر المزامير (مز ٧٨: ٢٤–٢٥): "أمطَر عليهم المنّ ليأكلوا، وأعطاهم خبز السماء، فأكَل الإنسان خبزَ الأقوياء، وأرسل إليهم زادًا حتّى شبعوا"؛ كذلك أيضًا في سفر نحميا (٩: ١٥): "رَزَقتُهم خبزًا من السماء في جوعهم"، ممّا يعني أنّ الكتاب المقدّس هو الشاهد الأوّل على عمليّة القراءة وإعادة القراءة الحاصلة داخله، على نحوٍ مباشرٍ أو غير مباشر.

ولكنْ، بالإضافة إلى الاستشهادات الصريحة، هناك تلميحاتٌ أُخرى إلى سفر الخروج لا يمكن أن تَفوت القارئ؛ ففي رواية تكثير الخبز يطرح يسوع السؤال قائلاً: "مِن أين نشتري خبزًا ليأكل هؤلاء؟" (يو ٦: ٥)، ممّا يُذكّر بسؤال موسى في البرّيّة: "مِن أين لي لحمٌ أعطيه لهذا الشعب كلّه" (عد ١١: ١٣). أمّا جواب فيلبّس الذي يستنكر إمكانيّة إشباع الجموع وَلَو بمِئَتَي دينار (يو ٦: ٧)، فيبدو مُشابهًا لتشكيك موسى في سِفر العدد (١١: ٢٢): "أَيُذبَح للشعب غنمٌ وَبَقرٌ فيكفيه؟ أَمْ يُجمَع له كلّ سمك البحر فيكفيه؟" من جهةٍ أُخرى، بعد آية الخبز والسمك يَعبُر يسوع بحر الجليل سائرًا على الأقدام، كما عبَرَ في السابق الشعبُ القديمُ بحرَ القَصَب على الأرض اليابسة. وكما كانت معجزةُ المَنّ في البرّيّة علامةً تدعو الشعب إلى الثقة والإيمان بالله فخلّصه، كذلك يُوجّه يسوعُ النداءَ لسامعيه

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final ƒ.indd 496 1/30/17 8:02 PM

كي يؤمنوا بِمَن أرسله (٦: ٢٩). وفي الحالتَين تتكرّر ردود الفعل عينها، فيتذمّر بنو إسرائيل على الله في العهد القديم، مشتهِيْنَ أكل البصل والثوم والبطّيخ في مصر (عد ١١: ٣–٦)، كما يتذمّر اليهود على يسوع متسائلِين: "أليس هذا ابن يوسف؟" (يو ٦: ٤١–٤٢)، لا بل تمرّ عدوى التذمّر إلى التلاميذ أنفسهم إذْ يقولون: "هذا كلامٌ عسيرٌ فَمَن يُطيق سِماعَه؟" (يو ٦: ٦٠–٦١). نكتفي بهذا القدر مِن الأصداء العامّة بين يوحنّا ٦ واجتياز برّيّة سيناء، كي نتوقّف بشكلٍ خاصٍّ على هِبة المَنّ النازل مِن السماء لإطعام العِبرانيّين في الصحراء.

١ – الخبز العجيب أم خبز البؤس والمشقّة ؟

عندما يتكلّم يو ٦ على الخبز أو على القُوت، يُلاحظ القارئُ تطوّرًا تدريجيًّا في مفهوم هذا القُوت المُعطى للإنسان؛ فَهُو، بادئ ذي بدء، الخبز المادّيّ الذي يُشبع الجموع (٦: ١–١٥). وانطلاقًا مِن هذا الطعام الفاني ينتقل يسوع إلى "الطعام الباقي للحياة الأبديّة" (آية ٢٧).

هناك إذًا انتقالٌ إلى مستوًى آخَر من العلاقة الروحيّة مع مفاعيل هذا الخبز. بينما يوضح يسوع أخيرًا أنّه هو الخبز السّماويّ الحقيقيّ، خبز الحياة.

ولكنّ هذا الاختلاف بين الخبز الأرضيّ والخبز الروحيّ قد ورد مرّات عِدَّةً في الكتابات اليهوديّة بما يخصّ المَنّ السماويّ؛ فنقرأ مثلاً في سِفر الحكمة ١٦: ٢٠: "أمّا شعبك فبدلاً من ذلك ناولتَهم طعامَ ملائكةٍ وقدَّسْتَ لهم مَن السماء خبزًا مُعَدًّا لم يتعبوا فيه..."، وذلك بالمقارنة مع "غلاّتِ الأرض الظالمة" في الآية السابقة (حك ١٦: ١٩). كما نجد تَردادًا لهذه الفكرة في كتابات فيلون الإسكندريّ الذي يميّز مِرارًا بين المَنّ النازل من السماء وطعام الأرض الفاني (بشكلٍ خاصّ في كتابه حول حياة موسى).

ومِن ناحيةٍ أُخرى، يترافق هذا التدرّج نحو المنحى الروحيّ في مفهوم الخبز، بتدرّجٍ من نوعٍ آخَر وهو مفهوم العطاء، فكلّ شيءٍ هبةٌ مِن الله ولكنّ الهِبة الحقّة سوفَ تَظهر مِن خلال خطاب يسوع الذي يَهَب ذاته مأكلاً للعالَم. وفي الواقع، في كلّ مرّةٍ يَذكر العهدُ القديمُ المَنَّ النازل في الصحراء، ينسبُ هذه الهبة إلى الله نفسه، فهو فاعل الفِعل في تث ٨: ٣، ١٦؛ نح ٩: ١٥؛ حك ١٦: ٢٠؛ مز ٧٨:

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final ƒ.indd 497 1/30/17 8:02 PM

٢٤، لا بل يصبح هذا المَنُّ علامةً لحنان الله وحبّه وعذوبته، كما نقرأ في حك ١٦: ٢١: "لأنّ المادّةَ التي وهبتَها كانت تُظهر عذوبتك لأبنائك...". إنّه عطاء الله الذي يرغب دومًا أن يعطي بوَفرةٍ من فَيْضه.

وفي قراءة فيلون لحياة موسى يشدّد أيضًا على عمل الله في هذا العطاء، كما يعتبر أنّ التجديد اليوميّ لِهبة المَنّ (عدا أيّام السبت) هو تجديدٌ للخَلق بما يتخطّى إمكانيّات الخليقة بحسب الطبيعة. ويتابع فيلون (حياة موسى ١:٢٠٠) قائلاً إنّ الله يُمطر المَنّ بلطف ونعومة، بما يشبه المطر من نوع جديد، لا كما المياه ولا كما البَرَد، لا كالثلج ولا كالجليد". ولا شكّ أنّ فيلون يحاول، من خلال هذه التعابير، أن يبيّن ميزة هذا العطاء الجديد بالنسبة إلى المأكل اليوميّ العاديّ، وكأنّ هذه الهِبة مُعدّةٌ منذ الخَلق، بانتظار مرحلة الخروج واجتياز الصحراء. أمّا في الترجوم (أورشليمي ١)، فتبدو الفكرةُ هذه أكثرَ وضوحًا، إذْ يشير ترجوم خروج ١٦ إلى "المَنّ المحفوظ منذ البَدء"، كما يعدّد الترجوم عينُهُ في مواضعَ أُخرى (تك ٢: ٢ وعد ٢٢: ٢٨)، لائحةَ الأشياء العَشَرة التي أَعدَّها الله لديه منذ بداية الخَلق حتّى بلوغ حينها، حيث نقرأ ما يلي: "عَشرة أمور خُلِقت بعد إنجاز الكون، في بداية السبت عند الغَسق، وهي: المَنّ، البئر، عصا موسى، الشمير (لِنحت حجارة الهيكل)، قوس قزح، الغمام، فوه الأرض، كتابة لَوْحَي الوصايا، الشياطين وفم الحمارة الناطقة".

مِن اللافت هنا أنّ المَنّ المحفوظ في السماء منذ البَدء مذكورٌ في الدرجة الأُولى. إنّه عطاء الله الذي يقلب فجأةً مقاييس الطبيعة فينزل من السماء بَدَل هطول الأمطار (كما يقول فيلون)، وله أهمّيّةٌ كبرى في التقليد اليهوديّ. ولكنّ الجموع التي شهدت آية تكثير الخبز والسمك في إنجيل يوحنّا، تُفاجئ القارئ بطرح السؤال على يسوع: "أيُّ آيةٍ تأتينا بها أنتَ فنراها ونؤمن بك؟ ماذا تعمل؟" (يو ٦: ٣٠). تَكمن غرابة السؤال في موقعه، بعد أن شبع الجميع ورفعوا اثنتي عشرة قُفّةً من الكِسَر التي فَضلت عن الآكلين (يو ٦: ١٣). وهذا يعني، بالنسبة إلى اليهود، أنّ هِبةَ المَنّ في الصحراء تفوق بأضعافٍ آية تكثير الخبز على شاطئ بحيرة طبريّة، لأنّه ينزل من السماء، لأنّه الخبز الروحيّ، فهو يسمو على خبز الأرض. وكما كان موسى أداةً تجاه العَطيّة السَّمْيا هذه، يمكن ليسوع أن يكون، كما اعتقد البعض وكما ورد في تثنية الإشتراع، "هو حقًّا النبيّ الآتي إلى العالم" (يو ٦: ١٤). إنّما لن يلبث يسوع أن يُصحّح تَوَجُّه سامعِيه، فيلفت النظر أوّلاً إلى أنّ الله الآب السماويّ هو الذي يُعطي خبز السماء وليس موسى (٦: ٣٢)، ويسوع بذلك أَشَدُّ أمانةً

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final ƒ.indd 498 1/30/17 8:02 PM

لنصّ العهد القديم مِن مُحاوِريه. ثمّ يُلقي الضوء على نوعيّة العطاء، إذْ يستعمل صيغة الماضي للمَنّ المَوهوب في الصحراء، مُتابعًا بِصيغة الحاضر فِعل عطاء الآب اليوم: "أبي **يُعطيكم** خبز السماء الحَقّ"، أي يُعطيكم دَومًا، يُعطيكم الآن ولَنْ يتوقّف عن العطاء! يُعطيكم الابن الذي هو فِعلاً الخبز النازل من السماء (٦: ٣٨–٤١)، ممّا يُسبّب تذمّر اليهود في ما بينهم هامسِين: "أليس هذا ابن يوسف؟ ألا نعرف أباه وأمّه؟" (٦: ٤٢). وهكذا يُحوّل يسوع اهتمام اليهود من مسألة الهِبة إلى شخص الواهِب، من البحث عن العطيّة إلى السؤال عن المُعطي. وكما كانَ المَنُّ بحسب التقليد اليهوديّ مُعتبَرًا من مصدرٍ سماويٍّ محفوظٍ لدى الله منذ الخَلق، فَتعريفُ يسوع عن نفسه بأنّه الخبز النازل مِن السماء لا يُمكن أن يُفهم إلاّ كإعلانٍ عن "أصله السماويّ"، عن هويّته الحَقَّة التي تتعدّى كَونه "ابن يوسف" بالمَنظار البشريّ. القضيّة هي إذًا قضيّة إيمان بابن الله الذي أَرسلَه. ورَفْضُ اليهود لهذا الإيمان ليس مختلفًا عن مواقفهم في الماضي، عندما تذمّروا على المَنّ السماويّ واعتبروه خبز البؤس لا خبز الحبّ ورحمة الله وحنانه. والدّليل على ذلك في سِفر العدد (١١: ١–٦) حيث نقرأ ما يلي: "وكان الشعب كالمتذمِّرين بخُبث على مسامع الربّ (...) وعاد بنو إسرائيل إلى البكاء وقالوا: مَن يُطعمنا لحمًا؟ فإنّنا نذكر السمك الذي كنّا نأكله في مصر مجّانًا، والقثاء والبطّيخ والكُرّاث والبصل والثوم. والآن، فأَحلاقنا جافّةٌ، ولا شيء أمام عيوننا غيرَ المَنّ!". ويتابع الكتاب (عد ٢١: ٥): "وتكلّمَ الشعب على الله وعلى موسى وقالوا: "لماذا أصعدتَنا من مصر لنموت في البرّيّة؟ فإنّه ليس لنا خبزٌ ولا ماء، وقد سَئِمَتْ نفوسُنا هذا الطعام الزهيد – البائس".

وعلى هذا النصّ يعلّق الترجوم آسِفًا: "الويل لأمّةٍ كان طعامُها خبزَ السماء وتَذمّرَتْ على الله". المشكلة إذًا ليست في المَنّ بل في موقف الشعب وتصرّفه تجاه عِظَم العطيّة ورِفْعة العاطي. وهذا الموقف السلبيّ يُعيد نفسه تجاه يسوع، إذْ يرفض سامعوه الإيمانَ به واقتبال عطيّة الله. هنا تتّضح سخرية الإنجيليّ المُبَطَّنة، إذْ يُشير إلى طلب اليهود للقيام بآيةٍ، بينما يتذمّرون في أنفسهم أمام آية خبز الحياة النازل من السماء. إنّها تجربةُ أجدادهم، إنّه تصرّفُهم المماثل أمام هِبة المَنّ في الصحراء. ولكنّ هذه الهِبة لا تقتصر على إطعام الجياع، لأنّها ترمز روحيًّا إلى طعامٍ آخَر: إلى خبز الكلمة، خبز الشريعة والحِكمة، كما سنرى في النقطة الثانية.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final ƒ.indd 499 1/30/17 8:02 PM

٢ – الخبز الروحيّ: خبز الكلمة، خبز الشريعة، خبز الحكمة

إنّ نصوص العهد القديم والتقاليد اليهوديّة القديمة توحي بوضوح أنّ المَنّ هو "واقعٌ يرمز إلى واقعٍ آخَر" (P. Beauchamp، « La typologie dans l'Évangile de Jean », 2000, p. 99)؛ فَفي الدرجة الأُولى تبلورَتِ المقارنة بين الخبز المادّيّ الضروريّ للحياة وبين كلمة الله المُحيِيَة ونبع الحياة. بالعَودة إلى تَذكار المَنّ في البرّيّة يركّز سِفر التثنية على المعنى العميقِ لهذا الاختبار العجيب فيقول في النصّ العِبريّ: "أَذَلَّكَ وأجاعَكَ ثمّ أَطعمَكَ المَنَّ الذي لم تعرفْه أنتَ ولا عَرفَهُ آباؤُكَ، حتّى يُعلِّمَكَ أنّ الإنسانَ لا يحيا بالخبز وحدَه، بل بكلّ ما يخرج من فم الربّ يحيا الإنسان" (تث ٨: ٣). وتُضيف السبعينيّة: "بكلّ **كلمةٍ** تخرج من فم الربّ". هذا المعنى لا يتنافى مع إطاره في سِفر التثنية حيث يوضحُ الكاتبُ الغايةَ من تجربة الأربعينَ سنةً في الصحراء: "إمتحنَكَ الربّ ليعرف ما في قلبك، إنْ كنتَ تحفظ وصاياه أَمْ لا" (تث ٨: ٢).

الكلمة التي تَخرج من فم الله هي إذًا وصاياه، لا بل تختصرُ مجملَ الشريعة التي ترمز إلى عهد الله مع شعبه. بالخبز النازل من السماء خَلَّص الله شعبه من الموت في الصحراء، ولكنْ بِكلمته، بِشَريعته، بِوَصاياه، أقامَ معه عهدَ حُبٍّ للحياة الحقّة. وقد فهم سِفر الحكمة هذا الواقع الروحيّ في إعادة قراءته لِحَدث الخروج وركّز على العلاقة بين المَنّ وبين تعليم الشريعة وسلوك طريق الربّ (حك ١٦: ٢٦–٢٨): "وما ذلك أيّها الربّ إلاّ لِيَعلمَ أبناؤُكَ الذين أحببتَهم أنّ ثمار الأرض لا تُغذّي الإنسان، بل هي كلمتُك التي تغذّيه إذا كان يؤمن بك. فالطعام الذي لم تُتلفه النار، ذاب سريعًا عندما لَحِقَتْه أوّلُ شُعاعةٍ من الشمس، حتّى نعلم أنّه يجب أن نستفيق قبل طلوع الشمس. لنشكرَك ونصلّي إليك عند الفجر". وفِعل الشكر هذا في آ ٢٨ لا بدّ أن يترجّع صداه في يو ٦ بالتلميح إلى الإفخارستيّا، إلى يسوع خبز الحياة.

كذلك في التَّرجوم، يُلاحظ نيوفيتي حول خر ١٦: ٤ أنّ الهِبة اليوميّة لنزول المَنّ تهدف إلى اختبار بني إسرائيل في مسألة حفظ الوصايا الإلهيّة. ولكنّ علاقة التماهي بين المَنّ والكلمة أشدّ ندرةً. بينما على العكس، تُكرّر كتابات فيلون الإسكندريّ وحدة الحال بين المَنّ وكلمة الله؛ فعندما يُعدِّد مثلاً عطايا الله لشعبه (Fug. 139) يطرح استفهامًا استنكاريًّا حول المَنّ ويجيب على نفسه: "ما هو هذا الخبز؟ قُل لنا! إنّه كلمة الله التي أوصى بها!" وفي مَوضعٍ آخَر: "المَنّ هو الطعام الذي وهبه الله للنَّفْس، كي تقتاتَ من كلمته ومن فكره، لأنّ الخبز الذي أعطانا إيّاه الربّ هو

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final ƒ.indd 500 1/30/17 8:02 PM

كلمته" (Leg. III, 173) وإنْ كان البعض يطلبون الطعام الفاني، فالنَّفْس العابِدة التائقة إلى التأمّل يجذبها هذا القوت الروحيّ (Her. 79)، هذه الكلمة الإلهيّة التي تُعلِّم الوصايا والصَّبر وحفظ السُّبوت (Moïse I, 259). ويتابع فيلون من هذا المنطلق تحليلَه لِعَطيّة المَنّ كتمهيد لِعَطيّةٍ من نوعٍ آخر، هي عطيّة الشريعة المقدّسة (Decal. 10-13). فقد "أخرجَ اللّٰه شعبَه (الكلامُ لفيلون) بعيدًا عن ممارسات المُدن السيّئة وقاده إلى البرّيّة ليُنقّيه من كلّ خطأ. عندئذ ابتدأ يغذّي عقولهم بالطعام السماويّ، أي بالشريعة وكلمة الله". بالنسبة إلى فيلون، المَنّ هو الكلمة، هو العقل المدبِّر، هو المبدأ – أي باليونانيّة λογος. وفيلون يتبنّى مرارًا وتكرارًا هذه المعادلة بين المَنّ واللوغوس، وعلى سبيل المثال لا الحصر نعطي بعض المراجع: "يُعطينا الله غذاءً هذا اللوغوس (λογος) الذي يخصّه، لأنّ ترجمة كلمة مَنّ تعني الشيء الناتج عن طبيعة الكائنات، وكلمة الله λογος تسمو فوق العالم" (Legum allegorial III, 175)، "لم يكن الشعب يعرف ما هو المَنّ، ولكنّهم تعلّموا وعرفوا أنّه كلمة الله ῥημα، أو العقل الإلهيّ) Fug. 137" λογος"، رغم أنّ فيلون يميّز أحيانًا بين ῥημα و λογοςكما في الاستشهاد التالي: "لفظة ῥημα تتّخذ معنى الكلمة التي يقولها الربّ، وصاياه وتعاليمه، بينما تُشير لفظة λογος إلى الفِعل الإلهيّ، أساس وحدة الكائنات وشعاع القدرة الإلهيّة المباشر (Legum allegorial III, 176).

لا شكّ أنّ هذا التقارب المعنويّ بين المَنّ، من جهة، وكلمة الله وشريعته، من جهةٍ أُخرى، سوف يلقى استكمالاً وتحقيقًا أعمق في يوحنّا ٦، إذْ يدعو يسوع سامِعيه إلى العمل من أجل القوت الباقي للحياة الأبديّة، يدعوهم في الوقت نفسه إلى اعتبار الغذاء الروحيّ الحقّ في كلمة الله، ممّا يُعيد القارئ إلى مقدّمة الإنجيل: "في البَدْء كان الكلمة" (يو ١: ١). هذا هو العهد الجديد الذي يُلمِّح إليه يو ٦: ٤٥: "وَيَكونون كلّهم تلاميذ الله، كما كتب الأنبياء"، وهو بذلك يستعيد النبوءات من أشعيا ٥٤: ١٣ وإرميا ٣١: ٣١. يسوع هو خبز العهد الجديد، خبز السماء الذي يحمل هِبة المَنّ وهِبة التوراة إلى كمالها.

أمّا في التقليد الحِكَميّ، فصورة المَنّ ترتبط ارتباطًا وثيقًا بهويّة الحكمة، والأساس في ذلك أنّ الحكمة تُطعِم أبناءها الغذاء الكافي وتمنحهم خبز الفهم. يكفي أن نقرأ ابن سيراخ (١٤: ٢٠ – ١٥: ١٠) لِنَتَبَيَّن مدى القرابة بين الله الذي يُطعم شعبَه المَنَّ في البرّيّة، ويُغذّيه بالحكمة في الهيكل. كذلك في سيراخ ٢٤ نشيدٌ رائعٌ في مديح الحكمة التي تسكن في أعالي السموات، ثم تخرج من فم الله لتملأ الأرض كما

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final ƒ.indd 501 1/30/17 8:02 PM

نزل المَنُّ قديمًا. ولعلّ سيراخ ٢٤: ١٩–٢٣ يختصر مواصفات هذه الحكمة التي تدعو الجائعين إلى مائدتها، وتُعطَى هي بالذات مأكلاً ومَشربًا، متماهيةً مع كلمة الله وتوراته: "تعالوا إليّ أيّها المشتاقون واشبعوا من ثماري.... مَن أكلني ازداد جوعًا، ومَن شربني ازداد عطشًا... من سمع لي فلا يَخيب، ومَن عَمل بما أقول لا يخطأ... الحكمة كلّها في كتاب العهد، وفيه شريعة موسى وميراث بني يعقوب".

وهذه الفكرة عزيزةٌ أيضًا على قلب فيلون إذْ يقول: "غذاء النفس السماويّ هو الحكمة التي يسمّيها الكتابُ المَنّ". وكأنّ يسوع في إنجيل يوحنّا ٦، يُعلن نفسه حكمة الله، مع فارقٍ أساسيٍّ هو أنّ الذي يأتي إليه لن يجوع ولن يعطش من بعد (يو ٦: ٣٥). وبهذا أيضًا يسوع الكلمة هو أعظم من الحكمة وأعظم من الشريعة؛ فهو، كالحكمة، يدعو معاصريه إلى مائدته، ويبذل نفسه طعامًا للمؤمنِين، عربون الحياة الأبديّة والخلاص للجميع. وبهذا نصل إلى النقطة الثالثة.

٣ – الخبز المُنتظَر للحياة الأبديّة

إنّ المَنّ، الخبز السماويّ، إتّخذ في المزمور ٧٨: ٢٥ صفة "خبز الأقوياء"، وقد ترجمَتْه السبعينيّة بخبز"الملائكة". والأرجح في المعنى أنّه الخبز الذي يُحضره الملائكة لا الذي يأكلونه، لأنّ الملاك لا يحتاج إلى طعام. ومن هذا المنطلق طوّرَت التقاليد اليهوديّة هذا المفهوم بالنسبة إلى الأزمنة المسيحانيّة، إذْ يرجو المؤمنون تجديد آية المَنّ في آخر الأزمنة، كما تُعلِن رؤيا باروك السُريانيّة (٢٩: ٨): "وَيَحدثُ في تلك الأيّام أنّ الكنز الخفيّ، كنز المَنّ ينزل من جديد من أعالي السماء ومنه يأكلون". كذلك نجد في نصٍّ يهوديٍّ قديمٍ أنّ المَنّ هو "طعام أبناء الملكوت المسيحانيّ" (Oracles Sibyllins VII, 148-149). ويُتابع التقليد الربّينيّ في الاتّجاه عينه إذْ يُشبّه عَمَل المسيح الآتي بما عمل موسى، فيُشبِع الشعب مِن المَنّ الجديد ويَسقيه من الماء الحيّ في الزمن المسيحانيّ الآتي.

وبالنسبة إلى مُعلِّميّ الشريعة، هذا الغذاء الحقّ والمَنْهل العذب هو التوراة، لأنّ "الله أعطى التوراة لشعبه في صورتين: صورة الخبز وصورة العصا؛ فإنْ لم يتغذّوا من الأوّل، ضُربوا بالثانية"!

لا شكّ أنّ أسفار الأنبياء ساعدت على انتقال المَنّ إلى المعنى الروحيّ، بالتشديد

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final ƒ.indd 502 1/30/17 8:02 PM

على أهمّيّة كلمة الله وَتَساميها بالنسبة إلى قوت الأرض الفاني. واكتمال المعنى هو في الرجاء المسيحانيّ، كما ورد في سِفر عاموس ٨: ١١: "وستأتي أيّام، أقول أنا السيّد الربّ، أُرسل فيها الجوع على الأرض، لا الجوع إلى الخبز ولا العطش إلى الماء، بل إلى استماع كلمة الربّ". واقع الرجاء هذا يتجذّر أوّلاً في كتب الشريعة، فيستوحي من سِفر تثنية الاشتراع (٨: ١٦): "وأَطعمَك الربُّ في البرّيّة المَنّ، حتّى تَهْنَأَ في أيّامك الآتية"؛ وفي السبعينيّة: "حتّى تَطيبَ نفسُك في آخرتك"؛ أو في ترجوم نيوفيتي: "حتّى يأتيكَ الخير في الأيّام الأخيرة". وهكذا ترتبط عطيّة المَنّ بالبُعد الإسكاتولوجيّ، ممّا قد يبدو غريبًا بحسب المنطق البشريّ، إذْ كان من المعلوم لدى بني إسرائيل أنّ "المَنّ يذوب إذا ما حميت الشمس" (خر ١٦: ٢١)، فكيف يُحفظ إذاً لنهاية الأزمنة ولماذا؟ في العهد القديم، يُحفظ المَنّ بداية للأجيال الآتية كعلامةٍ تُذكِّرهم برحمة الله ولطفه ومحبّته، لئلاّ ينسَوا سخاءه وأعماله العظيمة. لذلك يوصي الربّ موسى بحفظ "ملء الغمر مَنًّا، يبقى لكم مدى أجيالكم، فيرى أبناؤكم الخبز الذي أَطعَمْتُكم في البرّيّة عندما أخرجتُكم من أرض مصر" (خر ١٦: ٣٢). ويُنفّذ هرون هذا الأمر واضعًا غَمر المَنّ في جرّةٍ أمام تابوت العهد (خر ١٦: ٣٣-٣٦ وكان الغُمر عُشرَ القفّة).

وفي كلّ حال، جرّة المَنّ هذه معروفةٌ لدى كاتب الرسالة إلى العبرانيّين (عب ٩: ٤) الذي يُخبر عن محتوى قدس الأقداس في الهيكل: "وفيه المبخرة الذهبيّة وتابوت العهد وكلّه مغشًّى بالذهب، وفيه جرّةٌ ذهبيّةٌ تحتوي المَنّ، إلخ". ولكنّ الانتظارَ الإسكاتولوجيّ ظاهرٌ منذ العهد القديم؛ فسِفر المكابيّين الثاني يُشير إلى المَنّ الذي أخفاه النبيّ إرميا في إحدى مغاور جبل نابو: "وحاول بعض رفاقه أن يتبعوه فلم يكتشفوا الطريق إلى الكهف. ولمّا عَلِم إرميا بذلك، لامَهُم وقال لهم: سيبقى هذا الموضع مجهولاً إلى أن يجمع الله شملَ شعبه ويرحمهم. في ذلك الوقت يكشف لهم الربّ هذه الأشياء ويَظهر مجد الربّ وكذلك السحاب (الغمام) كما في أيّام موسى (٢ مك ٢: ٤-٨). وَجَمْعُ الشمل يرمز عادةً إلى يوم الدَّينونة الأخير. لذلك يستعيد سفر الرؤيا فكرة كشف المَنّ السماويّ عند الأزمنة الإسكاتولوجيّة: "إنّي أُعطي الغالب مِن المَنّ الخفيّ وحصاةً بيضاء منقوشٌ فيها اسمٌ جديدٌ لا يعرفه إلاّ الذي يناله" (رؤ ٢: ١٧).

إنّما زمن الدينونة هو أيضًا الزمن المسيحانيّ، أي عندما يأتي المسيح ليتوزّع على العالم من جديد خبز السماء المحفوظ منذ الأزل. في هذا الإطار يفهم القارئ

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final ƒ.indd 503 1/30/17 8:02 PM

سؤال اليهود ليسوع في يو ٦: ٣٠–٣١: "ماذا تقدر أن تعمل؟ أرنا آيةً حتّى نؤمن بك". هل تتجدّد آية المَنّ الذي أكله آباؤنا في الصحراء؟ وبمعنىً آخر، هل أنت هو المسيح المُنتظر في آخر الأزمنة؟ فالقضيّة إذًا ليست قضيّة الجوع والشبع، بقدر ما هي قضيّة هويّة يسوع ووضع الإيمان به على المحكّ. هنا أيضًا، يتخطّى جواب يسوع الانتظارات القديمة؛ فهو ليس مسيحًا بشريًّا، ولا النبيّ الآتي إلى العالَم في آخر الأزمنة، ولا حتّى موسى الجديد في تركيبة مختلفة! إنّه ابن الله ولن يعطي المَنَّ الذي أكله الآباء وماتوا، بل يُعطي نفسه مأكلاً، خبزًا للحياة الأبديّة، كَيْ لا يموت من يؤمن به. إنّه يُعطي أكثر من المَنّ السماويّ، إنّه يُعطي الحياة لأنّه هو خبز الحياة. وفي الواقع، لم يستطع المَنُّ قديمًا مَنحَ الحياة الأبديّة لمن تناولوه. رغم نزوله من السماء يبقى إذًا طعامًا أرضيًّا يساعد الشعب على اجتياز الصحراء دون أن يكون عربونًا أو دواءً لعدم الموت. وإنْ كان يسوع مُصوَّرًا كموسى الجديد، فهو في الحقيقة أعظم من موسى وأعظم من المَنّ وأعظم من الشريعة.

وبالفِعل، بحسب ترجوم نيوفيتي (تك ٣: ٢٤) ترتبط الحياة الأبديّة بدراسة التوراة وحفظها. مَن يستمعْ إليها ويَقُم بتعاليمها يَنَلْ الحياة في العالَم الآتي. بينما في يو ٦: ٥١ يُعلن يسوع أنّه خبز الحياة وأنَّ مَنْ يأكل مِن هذا الخبز يحيَ للأبد. فيسوع يعيد إذًا الخلق إلى بهائه الأوّل ويقدّم نفسه كشجرة الحياة التي يحيا إلى الأبد كلُّ مَن يأكل منها، كما ورد في تك ٣: ٢٢. الدعوة لمُحاوري يسوع ولقُرّاء الإنجيل هي أن يؤمنوا بِعملِ الله أي أن يؤمنوا بالذي أرسله لكي ينالوا الحياة الأبديّة.

* **خاتمة: الهِبة الجديدة بالمسيح**

ختامًا أودّ التوقّف عند بعض المَحاور لمتابعة التفكير بالموضوع، ومنها ثلاثة محاور على الصعيد اللاهوتيّ والروحيّ، ومِحورٌ رابعٌ على الصعيد المنهجيّ.

أ– مِن المَنّ السماويّ إلى خبز الحياة

منذ بداية الفصل السادس من إنجيل يوحنّا، يُظهر المحرِّرُ التناقضَ الحاصل بين المَنّ في سِفر الخروج وآية تكثير الخبز والسمك على بحر الجليل؛ ففي يو ٦: ٢٢ يأمر يسوعُ تلاميذَه بجمع ما فَضل من الكِسر لئلاّ يضيع منها شيء، ممّا يتعارض

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final ƒ.indd 504 1/30/17 8:02 PM

مع مبدأ المَنّ بالذات، الذي يُدَوِّد ويُنتِن إنْ حُفِظ لليوم التالي. ويتابع الإنجيليُّ تجميعَ الرموز القديمة كما رأينا، لِما لها من مدلولٍ في تقاليد اليهود، ولكنّه يقارنها بحقيقةٍ من نوعٍ جديد، حقيقة المَسيح ابن الله الّذي يؤمن به ويدعو الآخَرين للإيمان به. فمِن جهةٍ يُخبرنا النصّ أنّ الجموع عرفت في يسوع النبيَّ الآتي إلى العالم، بينما من جهةٍ أُخرى، ينسحب يسوع ويعود وحده إلى الجبل (٦: ١٤–١٥). في حين يطلب اليهود آيةً تُجدِّد مواعيدَ المَنّ، لا يعطيهم يسوع إلاّ جسده مأكلاً للحياة الأبديّة (يو ٦: ٣٥). مع كلّ ما تحمله عطيّة المَنّ السماويّ مِن أصداءٍ لكلمة الله وشريعته وحكمته، يبدو يسوع بشخصه هو الكلمة الحقّة Logos والإيمان به هو الشريعة الجديدة. في الماضي مات بنو إسرائيل رغم اغتذائهم بالخبز السماويّ العجيب، وهنا لم يقل يسوع لليهود "أنا هو المَنّ الذي تبحثون عنه"، بل "أنا خبز الحياة، مَن أكل جسدي وشرب دمي فَلَهُ الحياة الأبديّة وأنا أقيمه في اليوم الأخير" (٦: ٥٤). وهكذا ينتقل الإنجيليّ بقارئيه إلى مستوىً آخر، داعيًا إيّاهم إلى المسيرة الإيمانيّة مِن مَنّ السماء إلى خبز الحياة.

ب– مِن موسى إلى يسوع المسيح

في السِّياق نفسه، يُظهرُ نصُّ الإنجيل تفوّقَ يسوع على موسى. يوضح أوّلاً أنّ المَنّ عطيّةٌ من أبيه لا هبة من موسى للشعب (٦: ٣٢)؛ فهناك استمراريّةٌ بين العهدَين بما يخصّ العطاء الإلهيّ، ولكنْ هناك أيضًا جذريّةٌ جديدةٌ لا يمكن احتواؤها في حدود الانتظارات القديمة؛ فالله، بالمسيح ابنه الوحيد، يُعطي ذاته. والفارق بين موسى والمسيح هو فارق هويّة. مهما علا شأن موسى في التقليد اليهوديّ، فالابن الوحيد هو الذي رأى الآب، لأنّه جاء من عند الله (يو ٦: ٤٦). الابن الكلمة الذي كان عند الله، نزل وصار إنسانًا، بينما كان موسى يصعد إلى الجبل لِيَقتبِل كلمة الشريعة، دون أن يرى الله إلاّ من خلف، بعد مروره. الخُلاصة إذًا كريستولوجيّة، تدلّل على هويّة يسوع الإلهيّة. وبذلك يدعو الإنجيل الرابع إلى الإيمان بابن الله لنيل الحياة الأبديّة، وهنا المحور الثالث لاستكمال التأمّل.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final ƒ.indd 505 1/30/17 8:02 PM

ج- حرّيّة الاختيار

تَمَّتِ الآية وَشَبِعَ الجياع. تبعوا يسوع وسمعوا كلامه وسألوه، ولكنّ الكثيرين وجدوا كلامه صعبًا عسيرًا لا يُطيقون سماعه، حتّى مِن بين التلاميذ (٦: ٦٠): "فتخلّى عنه من تلك الساعة كثيرٌ من تلاميذه وانقطعوا عن مصاحبته (٦: ٦٦). فأمام عطيّة الإيمان يبقى الإنسان حُرًّا لا مُرغَمًا، وذلك واضحٌ في مُجمل إنجيل يوحنّا حيث الخَيار معروضٌ على القارئ في كلّ صفحة. وهنا في نهاية الفصل السادس مرحلةٌ جديدةٌ في مسيرة التلاميذ. هل يختارون البقاء مع يسوع أَم الرحيل؟ هل يقبلون تحدّي الإيمان أو ينحرفون إلى فرض مفهومهم الخاصّ لمسيحهم المُنتظَر؟ حتّى إخوة يسوع قالوا له عند اقتراب عيد المظالّ: "أُتركْ هذا المكان واذهب إلى بلاد اليهوديّة حتّى يرى التلاميذ أعمالك، فلا أحد يعمل في الخفية إذا أراد أن يعرفه النّاس. وما دُمتَ تعمل هذه الأعمال فأَظهِرْ نفسك للعالم. وكان إخوته أنفسهم لا يؤمنون به" (يو ٧: ٣-٥).

د- منهجيًّا: المقارنة مع التقاليد اليهوديّة القديمة

هذه المحاور اللاهوتيّة والروحيّة حول هويّة يسوع وعلاقة المؤمن به ظهرت خاصّةً وَبشكلٍ أوضح من خلال المقارنة مع التقاليد اليهوديّة القديمة، حيث بيّنت هذه المقاربةُ فوائدَها في فهم أعمق للمحيط الدِّينيّ والثقافيّ والليتورجيّ الذي نَبَتَتْ على أرضه الصور والتعابير والاستعارات التي استعملها كُتّاب العهد الجديد. ومِن الواجب أَخذ هذه الحلقة التفسيريّة بعين الاعتبار.

Bibliographie sélective

Aletti, J.-N., « Le discours sur le pain de vie. La fonction des citations de l'Ancien Testament », *Recherches de Science Religieuse* 62/2 (1974) 169-197.

Anderson, P.N., « The Sitz im Leben of the Johannine Bread of Life discourse and the Evolving Context », in *Critical Readings of John 6*, Brill/ Leiden/ New York/ Köln, 1997, p. 1-60.

Beauchamp, P., « La typologie dans l'Évangile de Jean », *Radici dell'antigiudaismo in ambiente cristiano*, Libreria Editrice Vaticana, Roma, 2000, p. 95-109.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final ƒ.indd 506 1/30/17 8:02 PM

Blanchard, Y.-M., *Des signes pour croire ? Une lecture de l'Évangile de Jean*, Paris, cerf, 1995.

Blanchard, Y.-M., « Les discours dans l'Évangile de Jean », *La Bible et sa culture*, 2000, p. 439-453.

Borgen, P., « John 6 : Tradition, Interpretation and Composition », in *Critical Readings of John 6*, Brill/ Leiden/ New York/ Köln, 1997, p. 95-114.

Brown, R.E., *La communauté du disciple bien-aimé*, Paris, Cerf, 1983.

Culpepper, R.A., « John 6 : Current Research in Retrospect », in *Critical Readings of John 6*, Brill/ Leiden/ New York/ Köln, 1997, p. 247-257.

Evans, C.A., « On the Quotations Formulas in the Fourth Gospel », *Biblische Zeitschrift* 26 (1982) 79-83.

Feuillet, A., *Le discours sur le pain de vie, Jean 6*, Paris, Desclée, 1967.

Le Déaut, R., « Une aggadah targumique et les *murmures* de Jean 6 », *Biblica* 51 (1970) 80-83.

Maiberger, P., *Das Manna : eine literarische, etymologische und naturkundliche Untersuchung, Wiesbaden*, 1983.

Manns, Fr., « La sagesse nourricière dans l'Évangile de Jean », *Biblia e Oriente* 194 (1997) 207-234.

Painter, J., « Jesus and the Quest for Eternal Life », in *Critical Readings of John 6*, Brill/ Leiden/ New York/ Köln, 1997, p. 61-94.

Roulet, Ph., « Étude de Jean 6 : la narration et l'histoire de la rédaction », in *La communauté johannique et son histoire*, Genève, 1990, p. 231-247.

Issue 55_Ayam Bibliya Book_Final ƒ.indd 507 1/30/17 8:02 PM